المبحث الثاني:

الفكر السياسي الاسلامي

مقدمة:

حاول الاسلام منذ نشأته ان يرسم شكل السلطة والمجتمع بصورة متكاملة محققا الصلاح للمجتمع والفرد في نفس الوقت، وعلى خلاف الديانات الاخرى السابقة قدم الاسلام تشريعات شاملة لجميع امور المجتمع سواء فيما يتعلق بتنظيم السلطة في داخل هذا المجتمع او فيما يتعلق بعلاقة الدولة الاسلامية. بالدول الاخرى وتنظيم شؤون الحرب والسلام على السواء.

واتسم الاسلام بمسحة شمولية تغطي جوانب الحياة المختلفة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لا لمجتمع معين ولكن للمجتمعات الانسانية كافة.

ومع هذا فان القرآن الكريم المصدر الاصلي والاساسي للاسلام والسنة النبوية الكريمة لم يتعرضا الى تفاصيل الدولة الاسلامية واساليب الحكم فيها، وانما اقتصرا على تحديد الاسس الثابتة والمبادىء العامة التي يسترشد بها في هذا المجال، وهنا تكمن عظمة الاسلام كدين يصلح لكل زمان ومكان، بحيث ترك الباب مفتوحا لتطور الافكار والانظمة السياسية بما يتواءم مع طبيعة العصر والمكان المعين، مع ضرورة الالتزام بالمبادىء والاحكام العامة التي وضعها في هذا المجال.

وبعد توسع الدولة الاسلامية وتعانقها مع الحضارات الاخرى وتطور طبيعة المجتمع الاسلامي وحدوده ظهرت الحاجة الملحة لوجود مفكرين وفقهاء مسلمين لمعالجة الاوضاع المستجدة في الدولة الاسلامية ومحاولة وضع تأصيلات فكرية متطورة في هذا المجال. فظهرت فئة من الفقهاء وعلماء الدين الذين اولوا سياسة الحكم الاسلامي نصيبا من آرائهم واجتهاداتهم وفتاويهم مثل ابن حزم الاندلسي والماوردي في كتابه «الاحكام السلطانية» الذي تعرض فيه لدراسة ظاهرة الخلافة، ومؤخرا ظهر ابو حنيفة كاحد الفقهاء الذين تعرضوا لظاهرة السلطة بالتحليل والانتقاد وبيان العلاقة بين الدين والسياسة.

والى جانب هؤلاء ظهرت مجموعة من الفلاسفة المسلمين الذين درسوا الفلسفة اليونانية وتأثروا بها وقدموا نظريات فلسفية متكاملة للسلطة والدولة المثالية ومنهم الفارابي في كتابه «آراء اهل المدينة الفاضلة» وابن رشد واخوان الصفا وابن خلدون في كتابه المقدمة هذا بالاضافة الى مجموعة من الادباء والكتاب الذين تعرضوا لظاهرة السلطة في كتاباتهم الادبية مثل ابن المقفع في كتابه «كليلة ودمنة» والجاحظ وابن عبد ربه وغيرهم. ومن نتاج جهود هؤلاء جميعا وغيرهم قدم الفكر السياسي الاسلامي مجموعة من المبادىء والنظريات السياسية المتطورة، واستخدم طريقة مميزة في البحث العلمي والربط بين الفكر والحركة، كما طور التراث الاسلامي مجموعة من النظم السياسية المتقدمة وأبرز مجموعة من القادة والحكام العظام في التاريخ الانساني.

التراث السياسي الاسلامي:

قبل الغوص في تحليل التراث الاسلامي ومدلولاته يجدر بنا الاشارة الى المعنى المقصود بكلمة السياسة في تقاليد الحضارة الاسلامية حيث يلمس الباحث في هذا المجال مدى الغموض الذي اكتنف هذه الكلمة في التراث الاسلامي فهي تعنى اكثر من معنى واحد في نفس الوقت ومن هذه المعاني التي تعارف عليها المفكرون المسلمون[1]:

١- السياسة بمعنى الرئاسة او القيادة والتوجيه Politics، أي أن من ساس الامر هو من قام بالامر بما يصلحه.
٢- السياسة بمعنى التعاليم أو قواعد الحركة، أي المبادىء التي يجب أن تتحكم في مواجهة الموقف أي أنها تهتم بالحركة والتدبير بمعنى Policy.
٣- السياسة بمعنى أداة أو اسلوب معين من اساليب الحكم يقوم على قواعد معينة تميزه عن الاساليب الاخرى، وهي بهذا المعنى غالبا ما ترتبط بالدهاء والمكر وعدم الصراحة.

في دراستنا للتراث السياسي الاسلامي سنبدأ بدراسة تطور النظام السياسي الاسلامي ومن ثم نتعرض للفكر السياسي ونواحيه المختلفة:

١- حامد ربيع، التراث الاسلامي، مرجع سبق ذكره ص ١١٢-١١٤.

تطور النظام السياسي الاسلامي:

والمقصود هنا تنظيم وخصائص المجتمع السياسي الاسلامي كحقيقة سلطوية، ويعني الخلافة والتنظيم السياسي للدولة الاسلامية، أي الاطار النظامي الذي نشأ في ظلاله الفكر السياسي، ويلاحظ المراقب في هذا المجال بان هيكل النظام السياسي الاسلامي قد مر بمراحل متعددة نذكر منها[٢]:

١- مرحلة المدينة الدولة وتمتد منذ سنة ٦٢٢ م، حتى سنة ٦٣٢ والتي كان الحكم فيها للرسول وكان المصدر الالهي اساس القواعد السياسية التي تنظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم.
٢- مرحلة الدولة الامبراطورية وتمتد حتى سنة ٧٥٠ م. وهي مرحلة بناء الدولة وفيها انقطع المصدر الالهي وامتدت الدولة الاسلامية لتتعانق مع ثقافات وحضارات اكثر نضوجا وهي فترة الخلفاء الراشدين والخلافة الاموية وفيها بدأ ظهور التسلسل الهرمي في السلطة وبعض المؤسسات السياسية.
٣- مرحلة الدولة العالمية وتمتد قرن ونصف بعد ذلك وتشمل فترة ممتدة من الحكم العباسي وذلك بعد ان ضمت الدولة الاسلامية عديداً من الشعوب والاقاليم ونظمت الدولة خلالها على أساس مؤسسات سياسية وظهرت الدواوين المختلفة.

أما المراحل الأخرى اللاحقة فقد مثلت نوعا من اللامركزية التي توسعت فيما بعد الى مرحلة من التفتت في الدولة الاسلامية وانقسامها الى عدة دويلات متصارعة.

٢- يعود هذا التقسيم الى العالم الانجليزي وات في كتابه:

Watt, Islamic Political Theory, 1968.

نقلا عن حامد ربيع، النظرية السياسية، مرجع سبق ذكره، ص ٢٢٣. كما يمكن متابعة خصائص المرحلة الأولى والثانية في:

Waheed- Ud- Din, Fakir Syed, the Benefactor, The Crescent Publishers, Maryland, 1964.

الفكر السياسي الاسلامي:

يختلف الفكر السياسي عن الانظمة القائمة والحياة السياسية ويمثل اراء وتصورات المفكرين المسلمين لظاهرة السلطة وهو بذلك يختلف ايضا عن تعاليم الاسلام كدين يقوم على معتقدات ثابتة واردة في المصادر الاساسية للاسلام وسوف نبدأ في دراستنا للفكر السياسي بدراسة موضوعاته المختلفة.

موضوعات الفكر السياسي:

تناول الفكر السياسي الاسلامي بالبحث والتمحيص عددا لا حصر له من الموضوعات التي تتعلق بالدولة والسلطة ونظام الحكم وقدم افكاراً متطورة في هذا المجال تعكس نوعا من الابناع الفكري الاسلامي وتشكل أصولا لكثير من النظريات السياسية الحديثة وتعكس هذه النظريات والموضوعات التي تعرضت لها في مضمونها القيم العليا في المجتمع السياسي الاسلامي القائم على أسس دينية. وأهم هذه الموضوعات:

(١) نشأة الدولة ووظيفتها:

من خلال تحليل الاصول الاسلامية نستطيع ان نحدد ثلاث نظريات لنشوء الدولة[٣]:

أ ـ النظرية العقدية و يقدمها الفارابي من خلال تفسيره لمبدأ البيعة في الاسلام.
ب ـ نظرية التطور القبلي و يقدمها الغزالي. وهي تشبه نظرية أرسطو في نشوء الدولة.
جـ ـ نظرية العصبية و يقدمها ابن خلدون وهي التي سنتعرض لها فيما بعد.

أما فيما يتعلق بوظيفة الدولة اي الاهداف التي تسعى لتحقيقها في

٣ـ حامد ربيع، التراث الاسلامي، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٦.

الفكر الاسلامي فيمكن التمييز بين عدة نظريات في هذا المجال.

فقد رأى بعض المفكرين المسلمين بان وظيفة الدولة تحقيق العدالة مثل الفارابي، ومنهم من رأى بان وظيفتها الدفاع عن العقيدة مثل الماوردي، ومنهم من رأى بان مهمتهما تحقيق السلام والطمأنينة مثل ابن ابي الربيع. ومن الدراسات الجديرة في هذا المجال الدراسة التي قدمها ابن تيمية عن «الحسبة او وظيفة الحكومة الاسلامية» والتي يلخصها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٤].

مما سبق نستنتج بان النظرية السياسية للدولة في الفكر الاسلامي جاءت معبرة عن عدة نظريات متباينة تعكس في مجموعها مفهوم الامة كعلاقة سياسية وأن الأمة هي التجمع الحضاري الذي يشكل اساس الدولة وأن الامة الاسلامية تقوم على فكرة اعتناق الجماعة للدين الاسلامي، وليس على اساس العنصرية القائمة على وحدة الاصل او العرق النابعة من رابطة الدم والجنس، وأن هذه العلاقة العقيدية هي أساس وحدة المجتمع والدولة في الفكر السياسي الاسلامي.

(٢) نظام الحكم:

اذا ما تنحينا مفهوم الدولة جانبا وانتقلنا لنظام الحكم في الفكر السياسي الاسلامي فاننا نجد بان المصادر الاساسية في الاسلام كالقرآن والسنة النبوية لم تتعرض لتفاصيل نظام الحكم وسياسته، وانما اقتصر دورها على تحديد بعض المبادىء العامة والاسس الثابتة التي يجب ان يقوم عليها النظام السياسي الاسلامي ومن هذه الاسس:

١ـ السيادة أو الحاكمية لله:

تشكل السيادة ـ بمعنى صاحب السلطة العليا في المجتمع والدولة ـ القضية الأولى في أي نظام سياسي، وفي الدولة الاسلامية هناك اجماع على ان السيادة لله وحده لا شريك له ولشريعته المنزلة، وان الله هو رب الكون ورب

٤ـ ابن تيمية، الحسبة في الاسلام او وظيفة الحكومة الاسلامية، دار الكاتب العربي بيروت، بدون تاريخ. ولمزيد من التفاصيل عن وظيفة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انظر الامام الغزالي، احياء علوم الدين، المجلد الثاني، الكتاب التاسع، دار المعرفة بيروت، بدون تاريخ ص ٣٠٦-٣٥٧.

الانسان ولا بد من التسليم بربوبيته[٥]، وقد فسر ابن تيمية بالتفصيل كيف تكون السيادة لله وأن المخلوقين جميعا عباد الله سواء كانت هذه العبودية قسرية في كونه خالقنا ومالكنا وكوننا خاضعين لقوانين الكون، أم عبودية ارادية من خلال الانقياد لشرائع الله[٦].

و يتبع عملية الاعتراف بالسيادة والحاكمية لله وحده ضرورة التقيد بشرعه وتعليماته التي يحددها الدستور الاسلامي[٧] في مصدرين اساسيين هما القرآن والسنة النبوية حيث يقول تعالى: «فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر» سورة النساء الآية (٥٩).

هذا بالاضافة الى مجموعة من المصادر الثانوية او الوضعية مثل الاجماع والاجتهاد والقياس ونهج الصحابة الأوائل والتي تنحصر مهمتها في محاولة تخريج حدود وتفسيرات للقواعد والمبادىء العامة الواردة في المصدرين الأولين.

٢ـ العدالة*:

تشكل العدالة بمعنى الحياد وعدم التحيز المبدأ الاصيل الذي يقوم عليه النظام السياسي الاسلامي و يقوم هذا المبدأ على اعطاء كل ذي حق حقه وعدم الاعتداء على الآخرين، وقد أخذ مفهوم العدالة في الحضارة الاسلامية طابعا وظيفيا وقانونيا في أحد مناحيه قال تعالى: « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل» سورة النساء الاية (٥٨). وقد اعتبرت العدالة شرطاً ضرورياً من شروط الأمام وقيمة عليا تسيطر على وظائف وممارسات الدولة الاسلامية.

٥ـ الماوردي، الخلافة والملك، تعريب أحمد ادريس، دار القلم الكويت ١٩٧٨، ص ١٣-١٨.

٦ـ تقي الدين احمد بن تيمية، العبودية، المكتب الاسلامي، دمشق، بدون تاريخ ص ٤-٦.

٧ـ لمزيد من التفاصيل عن مصادر التشريع الاسلامي والدستور الاسلامي يمكن الرجوع الى:

أ ـ محمد عبد الله العربي، الدستور الاسلامي في كتاب الاسلام والانظمة السياسية دار الكاتب العربي، بيروت، بدون تاريخ، ص ٩٩ - ١١١.

ب ـ عبد الحميد متولي، الاسلام ومبادىء نظام الحكم، منشأه المعارف بالاسكندرية ١٩٧٦، ص ١١-٥٥.

* لمزيد من المناقشات حول مفهوم العدالة كقيمة عليا في المجتمع الاسلامي. انظر حامد ربيع، نظرية القيم السياسية، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٧٥.

٣ـ الشورى:

وتعني تقليب الآراء المختلفة ووجهات النظر المطروحة واختبارها من اصحاب العقول والافهام حتى يتم التعرف والوصول الى اصوبها واحسنها للعمل به لتحقيق أفضل النتائج[٨]، وقد اعتبر مبدأ الشورى كأساس للحكومة الصاحلة ودعامة تتلاقى عندها سائر الرغبات والاماني لان الشورى في أبسط احكامها خير من رأى الفرد لأنها تعبر عن الرأي الجماعي[٩]، ولهذا فانه يتوجب على الحاكم أن يرجع الى الشعب او مجلس شورى يتمتع بثقة الشعب لأخذ استشارتهم في تدبير أمورهم والشورى هنا واجبة على الحاكم وليست اختيارية تطبيقا لقوله تعالى: «وشاورهم في الأمر». سورة الشورى الآية (٣٨).

ولكن يجب أن يفهم بان وجوبية الشورى تتعلق بالامور التي لم يرد فيها نص وأنه لا يجوز الشورى او الاجتهاد في الامور التي ورد فيها نص**.

٤ـ المساواة:

ينظر الاسلام الى البشرية على أنها شعب واحد، على اساس ان جميع الناس خلقوا من أصل واحد حيث آدم أبوهم وامهم حواء اذ يقول تعالى «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء» سورة النساء (الآية الأولى).

و يقرر الاسلام مبدأ المساواة بصورة مطلقة بغض النظر عن اللون او الجنس او اللغة او الحالة الاجتماعية والاقتصادية و يقرر سبحانه وتعالى ذلك بقوله

٨ـ محمد عبد القادر فارس، النظام السياسي في الاسلام، مكتبة الرسالة الحديثة عمان، ١٩٨٠، ص ٧٩.

٩ـ عباس طه، السلطتان الدينية والدنيوية كما يراهما الاسلام في كتاب الاسلام والانظمة السياسية، مرجع سبق ذكره، ص ٨٠.

*ـ نذكر هنا على سبيل المثال قصة بدر حين نزل رسول الله في غزوة بدر الى أدنى الماء فسأله الحباب بن المنذر هل هذا منزلا من الله، أم أنه متروك للرأي على اساس انه لو كان منزلا فلن يكون قابلا للتشاور، فأجابه الرسول بأنها الحرب المكيدة وحينها اقترح الحباب أن يتقدم المسلمون الى أدنى ماء من القوم ليمنعوهم عنه وقد قبل الرسول المشورة وطلب من المسلمين تنفيذها.

«يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم» سورة الحجرات (الآية ١٣).

وتقوم المساواة في النظام السياسي الاسلامي على اساس ان الجميع متساوون امام القانون، وأن المساواة تكون في الحقوق والواجبات كما جاء في الحديث الشريف «ان اكرمكم عند الله اتقاكم وليس لعربي فضل على عجمي الا بالتقوى».

ومن خلال هذه الأسس العامة التي يقوم عليها النظام السياسي الاسلامي نستطيع استجلاء بعض ملامح هذا النظام ومبادئه في تنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم. ومنها أن السلطة السياسية في هذا النظام ملتزمة بالتعاليم الدينية وأن البعد السياسي للعلاقة بين الحاكم والمحكوم تنبع من البعد الديني و يقوم على الالتزام المستمر بالاخلاقيات.

(٣) الخلافة:

كانت الخلافة الاسلامية من أهم القضايا التي شغل بها الفكر السياسي الاسلامي، وثار حولها جدل طويل وصراعات فكرية مريرة تبلورت فيما بعد الى تيارات ومذاهب سياسية متكاملة وقد كان هذا الصراع يدور حول جملة من الموضوعات نذكر منها:

أ- **معنى الخلافة:** كان مصطلح الخلافة من أوائل المصطلحات التي ظهرت في دولة الاسلام في دولة المدينة حين انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم الى رحمته تعالى، ودار البحث حول قضية احلال خليفة يحل محله و يتولى امور الدين والدنيا. وقد أخذ مصطلح الخلافة عدة مفاهيم منها ما أورده الماوردي في كتابه «الاحكام السلطانية» والذي يتفق ما اورده ابن خلدون بهذا الخصوص حيث تعرف الخلافة بانها «حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الاخروية والدنيوية الراجعة اليها.. فهي خلافة

عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به»[١٠].

هذا وقد استخدم مصطلح الامامة بنفس معنى الخلافة خاصة بعد ظهور المذهب الشيعي.

ب ـ **وجوب الخلافة:** اتفق العلماء المسلمون على ضرورة السلطة ووجوبها سواء من اعتبر وجوبها شرعا ام من اعتبر وجوبها كحتمية اجتماعية، ويدلل ابن تيمية على ضرورة وجود السلطة في الاجتماع البشري بحديث رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «اذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا احدهم[١١]».

جـ ـ **اسلوب تولي الخليفة وشروطه:** اختلف الفقهاء المسلمون في طريقة اختيار الخليفة او الامام، فمنهم من رأى بأن الخلافة ثبتت بالنص والوصية لا بالاختيار مثال ذلك فقهاء الامامية والجارودة والشيعة الذين يرون بان الامامة من اصول الدين ولا يجوز تفويضها الى عامة الناس، وقد حصر الشيعة الخلافة في أبناء على بن ابي طالب كرم الله وجهه[١٢].

أما غالبية الفقهاء المسلمون فيرون بأن الخلافة تركت للامة ولم ينص على احد بعينه، وأن طريقة الاختيار غير مقيدة بطريقة معينة، وتختلف هذه الطرق حسب الزمان والمكان. وقد ثار جدل بينهم حول عدد الاشخاص المكلفين بالاختيار وهل البيعة عامة يشارك فيها جميع المسلمين أم أنها بيعة خاصة يقوم بها أهل الحل والعقد وأصحاب الرأي في المجتمع[١٣].

١٠- الماوردي، الاحكام السلطانية، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده، القاهرة ١٩٦٦، الطبعة الثانية، ص ٥. وكذلك، مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، ١٩٧٨ ص ١٩١.

١١- ابن تيمية، السياسة الشرعية، دار الكاتب العربي، بيروت، بدون تاريخ ص ١٦٩.

١٢- أبو يعلى الفراء، كتابه الامامه، بيروت، ١٩٦٦، ص ٢٠٠.

١٣- أنظر المناقشات حول البيعة:

أ ـ محمد عبد القادر فارس، النظام السياسي في الاسلام، مرجع سبق ذكره، ص ٢٩٤-٣٠٦.

ب ـ وما يقوله الماوردي في كتابه الاحكام السلطانية، ص ٥-٦، اذا يقول بان الامامة فرض كفاية اذا قام به البعض سقط عن الكافة واذا لم يقم به احد خرج من الناس فريقان، احدهما اهل الاختيار حتي يختاروا امام الامة، والثاني اهل الامامة حتى ينتصب احدهم للامامة وعلى هؤلاء تقع مسؤولية وجود الامام والشروط المعتبرة فيه.

أما من ناحية شروط الخليفة فقد وضع المفكرون والفقهاء المسلمون عددا كبيرا من الشروط الواجب توفرها في الخليفة ومنها بعض الشروط العامة مثل ان يكون مسلما وان يكون ذكرا بالغا وان يتمتع بالحرية وسلامة الحواس والاعضاء، هذا بالاضافة الى بعض الشروط الخاصة مثل[١٤]:

١- العلم.
٢- العدل.
٣- الكفاية.

هذا وقد اختلف الفقهاء المسلمون في تحديد شرط آخر وهو النسب القرشي.

د - **سلطات الخليفة:** يلاحظ المراقب لسلطات الخليفة في الدولة الاسلامية بانها سلطات شمولية تمتد بنشاطها ونفوذها الى جميع مجالات الحياة ذات الطابع العام المتصل بمجموع الافراد وجماعتهم سواء كانت هذه المجالات فكرية أم اقتصادية أم اجتماعية[١٥]، وقد جهد العلماء المسلمون في تعداد وظائف وسلطات الخليفة وعلاقته بالمحكومين سواء فيما يتعلق بالامور الدينية او الاقتصادية او الجهاد أو القضاء... الخ.

(٤) العلاقة بين الحاكم والمحكوم:

يتبع فكرة الخلافة فكرة اخرى مرتبطة بها وتتصل بالعلاقة بين الحاكم والمحكوم وهي فكرة الطاعة والولاء من قبل المحكومين للحاكم.

هذا ومع اقرار الاسلام بواجب الولاء والطاعة للحاكم وقد حض الاسلام على وجوب اطاعة الحاكم صراحة في قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» سورة النساء (الآية ٥٩) أي ان اطاعة الحاكم فرض من فروض الاسلام وهي اطاعة مقيدة وليست مطلقة أي ما دام

١٤- انظر في ذلك مقدمة ابن خلدون، مرجع سبق ذكره، ص ١٩٣.
١٥- ابن تيمية، الحسبة في الاسلام، دار الكاتب العربي، بيروت، بدون تاريخ ص ٨-٤٢.

ملتزماً بتطبيق الشريعة الاسلامية وقائما على العدل بين الناس. كما على الافراد ان يعاونوا الحكومة في كافة اعمال الخير وان يبذلوا ارواحهم ودمائهم في الدفاع عنها، كما ان لافراد الدولة الاسلامية سواء المسلمين وغير المسلمين مجموعة الحقوق الاساسية التي على الدولة المحافظة عليها[١٦].

كما يطلب الاسلام ايضا من الحاكم ان يخضع لارادة الشعب وأخذ رأيه في المشورة، أما من ناحية الثورة على الحاكم فقد اختلف الفقهاء المسلمون في تحديد شروطها ووجوبها، وأن كان هناك شبه اجماع على امكانية مقاومة الحاكم المستبد الخارج عن شريعة الله ان لم تؤد هذه المقاومة الى فتنة تنفيذا للحديث الشريف «فمن رأى منكم منكرا فليغيره بيده وان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان».

مما سبق نستنتج بأن العلاقة بين الحكام والمحكومين في الاسلام تقوم على التعاون في سبيل تحقيق شريعة الله والرفاهية للمجتمع كما قال تعالى «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر» سورة النساء (الآية ٧١) وأن هذه العلاقة بين الفرد والسلطة في الدولة الاسلامية تقوم على اساس التوازن بين مصلحة السلطة والافراد فلا الحكام لهم سلطان مطلق على الافراد، مما يجعلهم عبيدا مملوكين لهم، كما ان الافراد ليسوا مطلقي الحرية، بحيث يضرون بالمصلحة العامة.

ملاحظات ختامية:

وبعد هذا الايجاز في التعرض لموضوعات الفكر السياسي سواء فيما يتعلق بالدولة أو النظام السياسي او الخلافة نستطيع ان نلخص ملامح الحياة السياسية في المجتمع الاسلامي[١٧]:

١٦- الماوردي، الخلافة والملك، مرجع سبق ذكره، ص ٢٧-٣١.

١٧- انظر في ذلك حامد ربيع، التراث الاسلامي ص ١٣٢-١٢٤، ١٢٦.

١- ان الدولة الاسلامية دولة عقيدية تخضع لقانون الهي سامي ولقيادة مؤمنة بالافكار والمبادىء الاسلامية، وأن هذه الدولة تقوم على أساس المبدأ، وليس على أساس العرق او الرقعة الجغرافية مما جعل هذه الدولة اقرب الى مفهوم الامة منه الى مفهوم الدولة الحديث كما ان هذه الدولة كانت ذات صبغة عالمية وترفض مفهوم الحدود الجغرافية.

٢- ان هدف الدولة الاسلامية هدف اخلاقي، وهو تحقيق العدالة الاجتماعية وصيانة الاخلاق، ولذلك كانت المهمة الاساسية للحكومة الاسلامية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣- أما بخصوص نظام الحكم الاسلامي فنستطيع ان نحدد اهم خصائصه في النقاط التالية:

أ - ان النظام السياسي الاسلامي قد دمج بين الدين والسياسة على اساس ان الاسلام دين ودولة في نفس الوقت.

ب - ان القيادة الاسلامية كانت ترجع في الاساس الى مقومات ذاتية تقوم على الكفاءة والعلم بأمور الدين وترفض الصفقات الأخرى، وأن مهمة القيادة تنحصر في تنفيذ الشريعة وادارة شؤون المسلمين.

جـ - انعدام الصفة السياسية للسلطة التشريعية والاقرار بعلوية القواعد الدينية على التشريعات البشرية وأن عملية التشريع لم تكن تتعدى تفسير المبادىء العامة التي نزلت في المصادر الاساسية في الاسلام كالقرآن والسنة النبوية.

د - استقلال السلطة القضائية وتمتعها بالحياد والتمييز بين سلطة فصل الخصومة وهي من واجب القضاة وسلطة الافتاء التي اعتبرت كنوع من التخريج للحدود او التفسير للقوانين والتشريعات.

٤- ان السياسة الخارجية للدولة الاسلامية تقوم على تقسيم المجتمع الدولي الى فئتين دار الحرب وهي مجتمع الكفر، ودار الاسلام وهي المجتمع الإسلامي و يقر الأسلام مبدأ الجهاد في سبيل الله ليعبر عن حالة الحرب التي تدخلها الدولة الاسلامية وذلك يوضح بأن الحرب الاسلامية يجب ان تكون

حربا عادلة وهي حرب لنشر الديانة وللدفاع عن الدولة وحماية العقيدة. يقول تعالى «اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير» سورة الحج (الآية ٣٩).

وكذلك فان السياسة الخارجية الاسلامية يجب ان تقوم على الصدق التام والالتزام بالقواعد والقرارات وتحرى السلام والعدل الدولي وحسن السلوك تنفيذا لقوله تعالى «وافوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا» سورة الاسراء (الآية ٣٤).

الفارابي:

حياته:

ولد أبو نصر محمد بن طرفان أوزلع الفارابي في وسيج قرب فاراب على نهر سيحون في بلاد الترك سنة ٢٦٠ هـ، وسافر الى بغداد بصحبة والده الجندي الفقير، حيث درس اللغة العربية على يد النحوي ابن سراج ودرس المنطق على يد علي أبي بشر ابن يونس كما تتلمذ على يد يوحنا ابن حيلان. وقد سافر الى دمشق وحلب وعاش في كنف سيف الدولة الحمداني.

وقد كانت الفترة التيي عاشها الفارابي فترة فساد في الحكم العباسي، وصراع وتطرف فكري ومذهبي وسياسي، وطغيان الالحاد والزندقة في المجتمع الاسلامي وانتشار القلق والخوف والفوضى.

ولقد تميز الفارابي بغزارة الانتاج العلمي وان كان كثير من مؤلفاته قد فقدت، ومن أهم كتبه التي أخذت شهرتها في مجال العلوم السياسية، آراء أهل المدنية الفاضلة، السياسات المدنية، وكتاب التوفيق بين افلاطون وأرسطو أو «الجمع بين الحكيمين»[1].

١- انظر في ذلك: مصطفى غالب، الفارابي، دار مكتبة الهلال، بيروت ١٩٧٩، ص ١١-٣٥.

مذهبه وفلسفته:

يعتبر الفارابي بحق من أوائل «المتكلمين» وهو اللقب الذي كان يطلق على الفلاسفة العرب والمسلمين وقد امتازت فلسفته باعتمادها على المنطق.

كما قام الفارابي بمحاولة التوفيق بين العقل والوحي أي بين الفلسفة والدين ويعتبر الفارابي بذلك من أكبر الفلاسفة المسلمين الذين أوجدوا مذهبا فلسفيا متكاملا. ولذلك سمى بالمعلم الثاني على اعتبار ان ارسطو هو المعلم الاول.

نظرته للمجتمع ونشأة الدولة:

قام الفارابي بدراسة تركيب ونفسية الانسان وفطرته الاجتماعية ونظام الهيئة البشرية، وقال بأن الانسان لا يستطيع الوصول الى الكمال الا باجتماعات كبيرة بين الناس بحيث يقدم كل واحد للآخرين بعض ما يحتاجون اليه في قوامهم[٢].

ويرفض الفارابي المقولات الأخرى حول الاجتماع الانساني بسبب القهر وتسخير الآخرين أو بسبب الاشتراك في مواردهم أو المصاهرة أو حتى بسبب الاشتراك في رئيس واحد يحميهم ويديرهم أو الارتباط بالايمان والتحالف والتعاهد بين الجماعة.

وبعد أن يستعرض الفارابي أسس قيام الجماعة والروابط الاجتماعية يقسم الجماعات الى نوعين[٣]:

١- الجماعات الكاملة وتشمل: المعمورة، والامة، والمدينة.
٢- الاجتماعات غير الكاملة: وهي اجتماع أهل القرية وأهل المحلة أو الاجتماع في منزل وغيره.

٢- الفارابي، المدينة الفاضلة، مرجع سبق ذكره، ص ٣٤-٣٥.
٣- نفس المرجع ص ٢٦-٢٧.

ويرى الفارابي بان الاجتماع الامثل الذي يحقق السعادة لا ينقص عن اجتماع المدينة، وقد لجأ الفارابي الى تصنيف الافراد وجماعات الناس الى طبقات بعضها فوق بعض في القوة أو المال أو الجاه، ويقول بأن الجماعات والافراد يتصارعون فيما بينهم، ومن يغلب منهم هو الفائز وهو السعيد وذلك شيء في طباع الناس وهو العدل، ويرى بأن العدل هو التغالب، وليس استبعاد القاهر للمقهور الا من العدل الطبيعي وهو الفضيلة، ويقول بأن المجتمع يحصل على سعادته من خلال تقسم العمل بداخله بشكل يتناسب مع كفاءات وقدرات الناس بداخله وهنا يبدو تأثر الفارابي بافكار افلاطون عن العدالة وهو يرى بان المجتمع مترابط الاجزاء كالبدن تتكاتف وتتعاون اعضاؤه كلها لتتميم الحياة وحفظها، وأن السرور والألم الذي يحس به أحد أفراد المجتمع لا بد ان يمتد الى الآخرين، وينادي بتكامل المجتمع وتضامنه لحل مشكلاته الدنيوية وان الاعباء داخل المجتمع يجب ان تتوزع على أفراده.

شكل الحكومة: المدينة الفاضلة:

يصنف الفارابي الدول بين دول (مدن) فاضلة واخرى جاهلة او فاسقة او متبدلة او ضالة معتمدا على أساسيين هما السعادة والرئاسة[٤].

١- فالمدينة الفاضلة هي التي يسعى اهلها للسعادة الحقيقية المبنية على المعرفة والفضيلة، ويعمل رئيسها لخيرها وسعادتها وسوف نقدم تفصيلا لرئاسة هذه الدولة فيما بعد.

٢- اما اهالي المدن الاخرى، الجاهلية والفاسقة والمتبدلة والضالة فهم يخضعون لشهواتهم واراؤها وأعمال أهلها ورؤسائها يختلفون عن أهل المدينة الفاضلة:

ويرى الفارابي بان اهل المدينة الفاضلة يمتازون عن غيرهم بسلوكهم وارائهم وان المدينة الفاضلة مبنية على أسس معينة لا تتغير ولا تتبدل ولرئيسها شروط يجب التقيد بها بدقة، وهو يجعلها نقيضا للمدن

٤- حسن صعب، مرجع سبق ذكره، ص ٢١٦-٢١٧. انظر تقسيمات الفارابي للمدن في المدينة الفاضلة، مرجع سبق ذكره، ص ٧٦-٩١.

الاخرى الجاهلة والفاسقة والمتبدلة والضالة، وقد جعل ترتيب المدينة الفاضلة واعضاؤها على صورة مطابقة لترتيب الموجودات وأنها تستمد قوتها من القوى الروحانية والعقلانية السرمدية لان اكمل مدينة حسب رأي الفارابي هي مدينة الله ولذلك يجب ان تكون مراتب المدينة الفاضلة منظمة ومرتبة وفقا لنظام الكون الذي هو مدينة الله[٥].

رئاسة الدولة الفاضلة:

ينظر الفارابي الى رئاسة الدولة الفاضلة على آنها اسمى وأشرف الاعمال و ينظر الى موقعها كموقع القلب من البدن، و يعرف رئيس المدينة الفاضلة بأنه الرئيس الذي لا يقبل ان يكون فوقه رئيس اصلا وأنه فوق الجميع وليس لكل انسان ان يصبح رئيسا[٦] و يرى بان وظيفة رئيس المدينة الفاضلة لا تتوقف عند حد ادارة شؤون مدينته بل أن له رسالة اخلاقية سامية لانه مثال يحتذى به، و بذلك يكون الفارابي يعلق امالا كبيرة على رئيس الدولة ودوره في اصلاح المجتمع ولربما كان الفارابي بذلك متأثرا بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين.

خصال رئيس المدينة الفاضلة[٧]:

يمتاز رئيس المدينة الفاضلة بخاصتين تميزانه عن غيره من الاشخاص.

١- الخاصة الاولى. تكون بالفطرة والطبع معدا لها، وهي التي تعد الرئيس لكي يكون رئيسا متميزا بصفات اصيلة في نفسه تميزه عن غيره.
٢- الخاصة الثانية: تكون بالهيئة والملكة الارادية اي يمكن ان يتعلمها الانسان بعد مولده.

٥- الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، وزارة الثقافة المصرية، القاهرة ١٩٦٤، ص ١٣١.
٦- نفس المرجع ص ١٢٢.
٧- الفارابي، المدينة الفاضلة، مرجع سبق ذكره، ص ٢٨-٣١.

ولم يجد الفارابي غضاضة من أن يكون للدولة الفاضلة أكثر من رئيس حتى يمكن الجمع بين الفضائل السابقة في رئاسة دولته الفاضلة، و يسلم الفارابي بصعوبة تحقيق هذه الشروط وندرة اجتماعها في شخص واحد و يرى بأن الدولة تقترب من الدولة الفاضلة بقدر توافر عدد من هذه الصفات في رئيسها.

وفي الختام يجدر بنا ان نلاحظ بأن فكرة الفارابي عن رئيس الدولة الفاضلة تختلف عن نظرة أفلاطون ففي حين يطالب افلاطون الفيلسوف النزول من سماء التأملات الى عالم السياسة ليصبح حاكما فيلسوفا نجد الفارابي يطلب من رئيس مدينته الفاضلة الاندماج في العالم الروحي وان يحيا بروحه اكثر من حياته بجسمه، وعليه ان يكون قادرا على الاتصال بالعقل الفعال «القوى الالهية»، ولديه القدرة على تهذيب ارواح مرؤوسيه و يصعد بهم الى مستوى النور والاشراق. و بالاحرى فان المدينة الفاضلة عند الفارابي قوامها سكان من الأولياء الصالحين ورئيسها نبي، وهذا مجتمع لم يعرفه العالم الا في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ولن يتكرر وجوده قط.

ابن خلدون:

حياته[٨]:

ولد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي في تونس سنة ٧٣٢ هـ الموافق ١٣٣٢ م، وتوفي سنة ٨٠٨ هـ، الموافق ١٤٠٦ م عن عمر يناهز ٧٤ سنة ودفن في القاهرة. وقد تنقل في معظم الدول العربية حيث زار المغرب وتونس ومصر والحجاز وتولى بعض المناصب السياسية الهامة، وله عدة كتب اهمها المقدمة.

هدا ولقد تميزت فترة حياة ابن خلدون بالتخلف السياسي والحضاري في العالم العربي والاسلامي وامتازت تلك الفترة بالدسائس والمؤامرات بين قادة وملوك الدو يلات الاسلامية وتوجت نهاية هذه الفترة بفتوحات تيمور لنك وما

٨- انظر ذلك في خليل شرف الدين، ابن خلدون، دار ومكتبة الهلال، بيروت دون تاريخ، ص ٢٩-٤٠.

أحدثته من خراب في البلاد الاسلامية وقيام الدولة العثمانية.

منهجه وطريقة بحثه:

لجأ ابن خلدون الى الأسلوب العلمي في أبحاثه ورفض التفسير التجريدي للظواهر الاجتماعية، وكانت دراساته تنطلق مباشرة من الواقع الذي يعيشه حيث عني بوصف الأحوال الاجتماعية والسياسية كما هي قائمة ولم يهتم بالدولة المثالية كأفلاطون أو الفارابي.

وكان جل اهتمامه بالتاريخ وفلسفته، ويصنف ابن خلدون كأول مؤرخ حاول أن يضع أسس علمية للحوادث التاريخية، واستخراج القوانين الطبيعية لقيام الدول وزوالها، وكان يرى بأن مهمة المؤرخ ليس سرد الوقائع فحسب بل عليه البحث عن الاسباب والعلل التي تنشيء هذه الأحداث[٩]. ومن خلال ملاحظة دراسات ابن خلدون وكتبه نستطيع أن نؤكد بأن ابن خلدون قد اتبع منهجا علميا استقرائيا يقوم على تحديد وغربلة الظاهرة المراد دراستها، ثم ملاحظتها عن طريق الخبرة المباشرة ومتابعة تطوراتها حتى يتم التوصل الى قوانين وقواعد عامة تحكم الظاهرة من حيث تطوراتها المتتابعة.

ويمكن تحديد خصائص المنهج العلمي الذي أتبعه ابن خلدون في تفسير ظاهرة الحكم والكشف عن الظاهرة السياسية فيما يلي[١٠]:

١- اعتماد الملاحظة المستندة الى الخبرة الشخصية وأن تلك الملاحظة يجب أن تكون متعددة الجوانب، لأن الالمام بظاهرة السلطة أو أي ظاهرة اجتماعية معقدة مثلها يحتاج لدراسة مختلف جوانبها الاقتصادية والثقافية والعقيدية.

٢- هدف ابن خلدون في دراساته الى الوصول لقوانين وقواعد عامة بمعنى

٩- مقدمة ابن خلدون، مرجع سبق ذكره، ص ٥-١٤.

١٠- حامد ربيع، التراث الاسلامي، مرجع سبق ذكره، ص ٩٠-٩٥. وكذلك محمد الذواذي، بعض اوجه التشابه والاختلاف بين التفكير العربي الخلدوني والتفكير الغربي الاجتماعي، شؤون عربية عدد ٢٤ بتاريخ شباط ١٩٨٣ ص ٩٨-١٠٨.

علاقات ارتباطية بين الظواهر ونتائجها، و يظهر ذلك من خلال محاولة ابن خلدون وضع قوانين عامة للتطور الطبيعي في الدول وأنظمة الحكم، وتحديد الظروف التي تنتج كل مرحلة من مراحل التطور ومعرفة العوامل الذاتية والخارجية المؤثرة فيها.

نظرته للمجتمع ونشأة الدولة:

يتفق ابن خلدون مع النظرة اليونانية في أحد جوانبها في تبرير نشوء الدولة، فهو يرى بأن الانسان لا بد أن يعيش في حالة تدعوه للاعتماد على غيره نتيجة عجزه عن الايفاء بجميع متطلباته الضرورية - مثل الطعام والملبس والدفاع عن نفسه لوحده، ونتيجة لرغبة الانسان لسد حاجاته الأساسية هذه ظهر الدافع للتعاون مع الآخرين وتطلب ذلك وجود حياة اجتماعية. أي أن ابن خلدون يرى بأن الانسان اجتماعي بطبعه ولا يستطيع ان يعيش منفردا، ولا بد له من الاحتكاك بغيره من الناس سواء في شكل أفراد أسرته أو أفراد قبيلته.

ولكن نتيجة طبيعية الانسان الفردية والانانية والميل للعدوان في نفسه احتاج الانسان لوجود سلطة أو جهاز حاكم يقوم بتنظيم المجتمع الذي يطلق عليه أسم الدولة.

أي أن ابن خلدون يرى بأن وجود الدولة لا يرجع بالضرورة الى فطرة المجتمع نحو العيش المشترك وفطرته الطبيعية للتعاون، بل لا بد من وجود صاحب قدرة وقوة يستطيع اقناع الافراد بالتعاون ويجمع كلمتهم حتى يصلح حالهم و يقيموا مجتمعا سياسيا.

ويخضع ابن خلدون الدولة في تطورها الى خمس مراحل هي[11]:

١- طور النصر والاستيلاء على الحكم من أيدي حكم أو دولة سابقة.
٢- طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك وفيه تسود الراحة والطمأنينة.

١١- انظر في ذلك، ابراهيم درويش، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٣-١٠٤، وكذلك مقدمة ابن خلدون، ص ٢٩٨-٣٠٠.

٣- طور الاستبداد والانفراد بالسلطة والتنكر لأهل العصبية.

٤- طور القناعة والمسالمة ويكون الحاكم خلاله قانع بما ورثه عن سابقيه.

٥- طور انقراض الدولة وزوالها نتيجة الاسراف والتبذير.

أي ان الدولة في نظر ابن خلدون من صنع مجتمع من البشر عمل على اتخاذها كوسيلة لتحقيق التعاون بين أفراد المجتمع حرصا على منافعهم وتحقيقا لأمنهم وسلامتهم وحماية لمصالحهم. وبهذا فهو يرى بأن الدولة وظيفة وضرورة اجتماعية تستلزمها طبيعة البشر في اجتماعهم، وهو بذلك يعارض بعض المفكرين المسلمين الذين ربطوا بين الحكم والنبوة أو الوازع الديني مثل الغزالي، وهو يرى بأن بعض الأمم غير الدينية مثل المجوس قد عرفوا الدولة والحكم قبل غيرهم.

مما سبق نستنتج بان ابن خلدون قد آمن بان كل من المجتمعات والدول تمر بمراحل نمو وتطور، وأن حركة الحضارات الانسانية والدول تخضع لحركية جدلية لا استقرار لها على اتجاه واحد اذ تنشأ الدول وتنمو ثم تنته لتبدأ مرحلة جديدة[١٢].

العصبية ونظام الحكم:

أهم ما يميز نظرة ابن خلدون لنظام الحكم وتطور شكل السلطة ذلك الربط أو العلاقة بين السلطة وفكرته عن العصبية، وسيكون من المستحسن في هذا المجال ان نوضح فكرة ابن خلدون عن العصبية.

تعني كلمة العصبية في معناها العام «النعرة» وهي مرادفة لفكرة التعصب التي مؤداها أن يناصر الأخ أخاه ويدافع عنه. لكنها عند ابن خلدون تأخذ معنى آخر فهي تعني «تلك العلاقة التي تتحدد على أساس النسب والأصل، بحيث تخلق نوعا معينا من التضامن العائلي الذي يوجد مجموعة من

١٢- محمد الدواري، مرجع سبق ذكره ص ١٠٦.

الحقوق وتفرض طائفة معنية من الالتزامات»[١٣].

ومن هذا التعريف نستطيع ملاحظة أن مفهوم العصبية لدى ابن خلدون كان مرتبطا بظاهرة الانتساب العرقي أو العنصري، وهي أوسع من صور العلاقة العائلية وتمتد لتشكل رابطة تضامنية بين جميع أفراد الجماعة ذات الأصل المشترك.

و يتوسع ابن خلدون فيما بعد في نظرته للعصبية فلا يجعلها مقتصرة على رابطة الدم والنسب بحيث يصبح مصدرها الولاء او العصبية لفكرة معينة وليس لنسب معين. وهذا المعنى للعصبية يظهر في المجتمعات المتقدمة و يصبح مرادفا لمعنى الصفوة المختارة و يقترب من معنى الحزب السياسي.

و يقسم ابن خلدون الحكومات الى ثلاثة أنواع رئيسية هي[١٤]:-

١ - الحكومة الطبيعية برئاسة حاكم مستبد و يعرفها بانها «حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة»

٢ - حكومة الملك التي تقوم على «حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار». وتكون السيادة فيها للعصبية وأن كانت لا تخلو من الشرع.

٣ - الحكومة الدينية وهي التي يطلق عليها الخلافة و يعرفها «بأنها حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية... فهي في الحقيقة خلافه صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسية الدنيا به». أي ان السيادة في مثل هذه الحكومة تكون للشرع وان كانت لا تخلو من العصبية والوازع فيها ذاتياً يقوم على الاقتناع.

وحين تحدث ابن خلدون عن منصب الخليفة والامامة في الدولة الاسلامية

١٣- انظر لمزيد من التفاصيل عن مفهوم العصبية عن ابن خلدون:
أ - محمد الذوادي مرجع سبق ذكره ص ١٠٦.
ب - محمد جابر الانصاري، ابن خلدون وسيطا بين العروبين والاسلامين في معنى قوله العصبية ضرورة للملة، مجلة العربي عدد ٢٩٢ مارس ١٩٨٣، ص ٥٨-٦٢.

١٤- مقدمة ابن خلدون، مرجع سبق ذكره، ص ١٩١.

أحاط هذا الموضوع بكثير من العناية، وشرح الوسائل لاختيار هذا الخليفة واعتبر البيعة التي يقوم بها أهل الحل والعقد في الدولة فرض كفاية للاقرار بوجوب اطاعة الحاكم تنفيذاً لقوله تعالى «وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم»[١٥].

أما شروط هذا المنصب فيحددها ابن خلدون بأربعة شروط العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس والأعضاء و يرى بأن هناك شرط آخر مختلف عليه لدى جمهور المسلمين/ وهو شرط النسب القرشي، كما تعرض لمنصب الامامة في مذهب الشيعة ومبرراتهم في ذلك[١٦].

وفي الختام لا يتوقف ابن خلدون في هذا المجال عند حد المقارنة الجامدة بين الخلافة والملك بل يبين لنا كيف يمكن ان تنقلب الخلافة الى ملك والظروف التاريخية التي تواكب ذلك.

خصائص الفكر السياسي لدى ابن خلدون وأهميته:*

١ - يرى ابن خلدون بأن الظاهرة السياسية ظاهرة تابعة تتحدد بالظروف الاجتماعية المحيطة، وأن النظام السياسي تعبير عن الظروف والتطور الاجتماعي، ولم يدرس ابن خلدون علم السياسة كعلم مستقل.

مما سبق نستنتج بأن ابن خلدون قد كان متأثراً بمنهجه في علم الاجتماع في نظرته للظاهرة السياسية. ومن هنا اعتبر ابن خلدون واضع أسس علم الاجتماع السياسي.

٢ - ينطلق ابن خلدون في بناء اطاره الفكري من منطلق التحليل التجريبي

١٥- نفس المرجع ص ١٩٣.

١٦- نفس المرجع.

*- لمزيد من التفاصيل عن خصائص الفكر السياسي لابن خلدون انظر حامد ربيع، التراث الاسلامي، مرجع سبق ذكره، ص ٨٨-٨٩-١٠٩-١١٠.

القائم على الملاحظة المباشرة المتعددة الجوانب و يظهر منهج ابن خلدون الاستقرائي هذا بوضوح في مجال الدراسات التاريخية ومتابعة التطورات التي تصيب الدول والشعوب، ولذلك يعتبر ابن خلدون من أوائل المؤرخين الذين وضعوا نظريات علمية في هذا المجال.

٣ - أهم ما يميز خصائص فلسفة ابن خلدون السياسية أنها كانت تقوم على فكر ثنائي يعتمد على التوازن بين العقلانية والدين، فهو وان كان مؤمناً متصوفاً وكان يعتبر من الفقهاء البارزين في المذهب المالكي الذي كان يدرسه، فانه لم يغفل المعرفة العلمية التجريبية في تفسيره للظواهر الاجتماعية.

خصائص الفكر الاسلامي وآثاره

والآن وبعد الانتهاء من متابعة بعض اوجه التراث الاسلامي سنحاول تحديد أهم خصائص الفكر السياسي الاسلامي التي تميزه عن غيره:

١ - لم يكن الفكر السياسي الاسلامي يتمتع بالاستقلالية، وكان باستمرار تابعاً لدراسات اخرى فهو غالباً مرتبط بالتعاليم الدينية أو نابع من التقاليد الفلسفية، فمعظم مفكري السياسة اما كانوا رجال دين كالغزالي وابو حنيفة أو ممن يعملون في مجال الفلسفة مثل الفارابي، ومجالي الاجتماع والتاريخ مثل ابن خلدون.

٢ - الفكر السياسي الاسلامي يقوم على مبدأ التوفيق والاعتدال، حيث لم تعرف التقاليد الاسلامية المبالغة والتطرف، والامثلة في هذا المجال كثيرة نذكر منها ذلك الدور الذي قام به الفكر الاسلامي في التوفيق بين مثالية اليونان وواقعية الرومان. وكذلك التوفيق بين الدين والفلسفة.

٣ - يرتكز الفكر السياسي الاسلامي حول فكرة الخلافة أو مبدأ الامام حيث كانت القيادة تمثل باستمرار نقطة البداية في التحليل السياسي أي أن

التحليل السياسي كان يتناول السلطة كحقيقة تتبع من أعلى وتتحد بالطبقة الحاكمة دون ان يوجه اهتمامه لتعانق الطبقة الحاكمة بالمحكومة أو ان يخلق قنوات الاتصال فيما بينها.

٤ - يجعل الفكر السياسي الاسلامي مبدأ العدالة المبدأ الاصيل في تحليل اهداف الوجود السياسي أي يجعلها القيمة العليا بمعنى الهدف الذي يسعى المجتمع السياسي لتحقيقه و يعطيه السيادة على غيره من الاهداف.

obeikandl.com